اوهام ابن عربشاه
دراسة وظائفية في كتاب فاكهة الخلفاء

المدرس الدكتور
عقيل عبد الحسين خلف
جامعة البصرة – كلية الاداب

لا يخرج البحث في النص الأدبي عامة، وفي الحكاية خاصة، عن احد سؤالين هما: (كيف) و (لماذا). أما الكيف فيقود إلى العناية بالشكل وعلاقاته. فيما يقود الـــ(لمــاذا) إلــى العناية بالبنية العميقة للنص، التي تنتظم على أساسها الوحدات السردية ويتبعها إجابة، وتــأول لما يبدو في الظاهر بريئا وساذجا، لا يعني كل ما يقول ولا يقول كل ما يعني. وعلى هذا يتجه البحث، في المبحث الأول –بنية الوظائف– لماذا تتكون الحكاية من الأفعال الأربعة (الــنقص، وظهور المحذور، وتجاوز المحذور– الوقوع فيه، والنتيجة). وفي المبحــث الثــاني–منطــق الحكي– لماذا تترتب الأفعال أو الوظائف في هذا المسار دون غيره. يتقدم المبحثــان مــدخل مطول يُعرف بالمؤلف ويصف الكتاب –كتاب فاكهة الخلفاء موضوع الدراسة– ونوعه ولم هو كتاب مغاير؟ وسبب اختيار المنهج الوظائفي لدراسة الكتاب. كما تلي المبحثــين، الوظــائف ومنطق الحكي، خلاصة تتضمن تأولا يراه الباحث إجابة من إجابات كثيرة توحي بها قــراءة الكتاب، ومبررا لتسمية البحث "أوهام ابن عرب شاه".

مدخـــــل
ابن عربشاه: نبذة تاريخية

ولد احمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عربشاه الدمــشقي الأصــل الرومي الحنفي العجمي شهاب الدين أبو العباس بدمشق ليلة الجمعة منتصف ذي القعدة ســنة ٧٩١ هـــ[١].

وقد نشأ بدمشق التي تعرضت فيما كان هو في الثانية عشر من عمره لاحتلال التتـــار (عـــام ٨٠٣ هـــ) بقيادة تيمورلنك. فاضطر إلى الانتقال من دمشق مع أمه و إخوتـــه وابـــن أختـــه إبراهيم بن حولان إلى سمرقند وبلاد الخطا ما وراء النهر. وهناك تلقى العلم من اكبر العلماء أمثال السيد محمد الجرجاني واحمد الترمذي و محمد البخاري. وتعلم اللغة الفارسية والخـــط المغولي والنحو العربي. وانتقل بعدها إلى بلاد المغول والى خوارزم ثم إلى بلاد الدشت التي أقام بها أربع سنوات تعلم فيها الفقه وأصول الفقه على يد الشيخ محمد بن ناصر الدين محمـــد البزازي الكردي [٢].

انتقل ابن عربشاه بعد ذاك إلى بلاد الروم فعمل عند الملك محمد بن أبي زيـــد بـــن مراد بن عثمان في ديوان الإنشاء لعشر سنوات كتب فيها إلـــى ملـــوك الأطـــراف بالعربيـــة والفارسية والتركية. وبعد أن توفي محمد بن أبي يزيد رجع إلى حلب ثم إلـــى دمـــشق فـــي جمادى الاخرة سنة ٨٢٥ هـــ. وفي سنة ٨٤٠ هـــ انتقل من دمشق إلى القاهرة ليقيم فيهـــا و ليتصل بالملك الظاهر جقمق وليترجم له كتاب "مرزبان نامه". ويؤلف كتابيه "عجائب المقدور في نوائب تيمور" سنة ٨٤١ هـــ و "فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء" سنة ٨٥٢ هـــ. تـــوفي سنة ٨٥٤ هـــ قهرا بعد أن ظلمه الملك الظاهر بإدخاله سجن المجرمين مـــدة خمـــسة أيـــام لشكوى حميد الدين عليه[٣].

وصف الكتـــــاب :

يتضمن كتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لابن عربشاه[٤] عشرة أبواب تبدأ بباب "في ذكر ملك العرب الذي كان لوضع هذا الكتاب السبب" لتستمر على الترتيب الآتي:

الباب الثاني في وصايا ملك العجم المتميز على أقرانه بالفضل والحكم

الباب الثالث في حكم ملك الأتراك مع ختنه الزاهد شيخ النساك

الباب الرابع في مباحث عالم الإنسان مع العفريت جان الجان

الباب الخامس في نوادر ملك السباع ونديمه أمير الثعالب وكبير الضباع

الباب السادس في نوادر التيس المشرقي والكلب الإفريقي

الباب السابع في القتال بين أبي الأبطال الريبال وأبي دغفل سلطان الأفيال

الباب الثامن في حكم الأسد الزاهد وأمثال الجمل الشارد

الباب التاسع في ذكر ملك الطير العقاب والحجلتين الناجيتين من العقاب

الباب العاشر في معاملة الخادم والأحباب والأعداء والأصحاب

ويحتوي كل باب حكاية كبرى تتفرع منها حكايات صغرى تنتظم في سياقين يتم بمساعدتهما التعبير عن وجهتي نظر – على حد زعم الباحث – إحداهما تغلب العقل وثانيتهما تقدم القدر كما سيتضح من الدراسة. ويبدأ الكتاب بحكاية الحكيم حسيب أخي الملك الذي يخصص الباب الأول له، ليظهر للمتلقي سبب تأليف الكتاب. والسبب هو الخلاف الذي دب بين الملك وإخوته وما أدى إليه من إيثار الحكيم الانصراف إلى التأليف والاعتزال طلبا للحكمة الشيء الذي استغله وزير الملك المقرب. فهو يبغض الحكيم ويتمنى هلاكه فيسعى به إلى الملك زاعما له أن أخاه الحكيم إنما يريد أن يشق عصا الطاعة ويدعو إخوته إلى الخلاف عليه وهدم سلطانه ويدعي أمامه انه يريد مناظرته لكشف ما يضمره من نوايا ولفضح عدائه المستتر ولاطلاع الملك على حقيقة أخيه فيقبل الملك ويدعو أخاه الحكيم حسيب إلى مناظرة الوزير في جمع من الناس ويهيئ لهما مسرح اللقاء والكلام لتكون واقعة لقاء الحكيم بالوزير النواة السردية التي تنسج عليها أبواب الكتاب إذ يستمر تبادل الحكايات في الأبواب المتبقية وتكاد تكون تلك الأبواب تمثيلا للصراع بين الحكيم والوزير ورأييهما ينتهي بموقف يذكره الكتاب صريحا من ذلك الصراع.

تروى معظم الحكايات على السنة الحيوانات لأسباب منها:

- التمثيل، تمثيل الأفكار المختلفة والتعبير عنها في جزئياتها لتكون مجسدة سهلة المنال وليحصل الاتفاق حولها والانتفاع بها فهي طريقة للتمثيل تقوم على انتخاب عالم ثان ونسبة الصفات الإنسانية إليه ليكون معبرا عما يريد المؤلف أن يقوله دون أن يعرض نفسه للخطر فما يقال يحتمل أكثر من معنى. فهو ((يلجأ إلى التلميح على لسان الحيوان، ما لا يمكن التصريح به على لسان الإنسان، في شؤون معاملة الرعية وحكمها))[٥]
- الغرابة وإثارة العجب الشيء الذي يثير اهتمام المتلقي وإقباله على الحكاية ويضمن انتفاعه منها إذ يعقب المتعة التفكر.
- الوعظ والتنبيه والتعليم فإذا كانت الحيوانات العجماوات تتصف بصفات التدبير والعقل والفعل وهي غير مكلفة وتصدر منها ((مثل هذه الأمور الغريبة والقضايا الحسنة العجيبة فنحن أولى بذلك))[٦] وسيكون ذلك داعيا إلى أن يسلك المتلقي ذلك المسلك.

النوع – كتاب مختلف :

في كليلة ودمنة – أصل ((القول في الايديولوجية السلطانية في الثقافة العربية الإسلامية))[٧] – يشير المؤلف إشارة واضحة إلى تعريف هذا النوع من الكتابة فيختصره بالنصيحة إذ يتجه الحكيم بيدبا إلى الملك الجائر دبشليم ويقول لصاحب إذنه: ((إني رجل قصدت الملك في نصيحة))[٨]. وقصد الملك بالنصيحة هو تحديدا الفهم الذي يسبغه النقاد والمؤرخون للأدب على هذا النوع من الكتابة، إذ الأدب السلطاني كما يرى إحسان عباس ((نصائح سياسية تسدى إلى الأمير أو ولي العهد حتى يكون سياسيا ناجحا))[٩] ومؤلفاته ((هي المؤلفات التي يسترشد بها أولو الأمر في سياسة الملك وتدبير أمور الرعية))[١٠] وهي كما يرى عز الدين العلام ((كتابات تقوم في أساسها على مبدأ " نصيحة " أولي الأمر في تسيير شؤون سلطتهم، إذ تتضمن كل موادها مجموعة هائلة من النصائح الأخلاقية والقواعد السلوكية الواجب على الحاكم إتباعها، بدءا بما يجب أن يكون عليه في شخصه إلى طرق التعامل مع رعيته مرورا بكيفية اختيار خدامه واختبارهم وسلوكه مع أعدائه))[١١]. وتتجه النصيحة إلى ((إعلام الحاكم بما يجب أن يكون عليه، وما يجب عليه أن يعرفه ويفعله سعيا إلى حسن إدارة مملكته وضمان حفظ سلطته))[١٢]. وتختص في تأمل مسألة الحكم وطرحها عبر محاور معدودة منها:

– قواعد السلوك التي يجب على الأمير إتباعها...
– و... الحيل والمكائد التي لا يجب لأمير تجاهلها إذا كان يريد التغلب على خصومه...
– الخصال الضرورية لحكمة الأمير ولحسن إدارة الحكم [١٣].

تؤكد التعريفات السابقة على عناصر الموضوع والغاية والكيفية. أما الموضوع فهو الحكم ومكوناته أي الحاكم والأعوان والرعية. وأما الغاية فتتمثل بالسؤال لماذا تؤلف تلك الكتب؟ والإجابة: لنصيحة أولي الأمر بما ينبغي أن يكونوا عليه، ليتجنبوا أي ذم وقدح،وأي انحراف عما يثبت بالتجربة طريقا مستقيما يؤدي إلى نجاة الحاكم والمحكوم وفوزهما بخير الدنيا وخير الآخرة، وما يؤدي إلى بقاء ذكر الحاكم وخلود تجربته وإقرارها تجربة تستحق اتخاذها مثالا لمن يريد أن يحقق نجاحا في إدارة ملكه وحفظ رعيته، ولنتذكر في هذا السياق رغبة الملك دبشليم التي نقلها إلى الحكيم بيدبا، بعد أن تحول إلى حاكم عادل محبوب من رعيته لا قبل، يقول دبشليم: ((يا بيدبا انك حكيم الهند وفيلسوفها، واني فكرت ونظرت في

خزائن الحكمة التي كانت للملوك قبلي فلم أر فيهم أحدا إلا وضع كتابا تذكر فيه أيامه وسيرته وينبئ عن أدبه وأهل مملكته... وأخاف أن يلحقني ما لحق أولئك مما لا حيلة لي فيه ولا يوجد في خزائني كتاب اذكر به بعدي وينسب إلي كما ذكر من كان قبلي بكتبهم وقد أحببت أن تضع لي كتابا بليغا... وأريد أن يبقى الكتاب بعدي ذكرا على غابر الدهور))[١٤]. ولعل هذه النتيجة هي ما يفضله الملك في أكثر الأحيان، فهو يقبل النصيحة ويستجيب لها ويفضلها لأنها جزء من عقد ضمني يعقده المؤلف مع المُؤَلف له، والراوي مع المروي له (الملك). فإذا أنت استجبت للنصيحة تغيرت سيرتك، وتحسنت أحوال مملكتك وصرت ممن يُروى عنه – في كتب من هذا النوع – أو صرت حكاية يعتبر بها من الحكايات الكثيرة التي تتألف منها هذه الكتب. وأمام مثل هذا العقد لن يتردد أي ملك في القبول.

وسوف يقود العقد الضمني إلى الكيفية – وهي العنصر الثالث – أي الطريقة التي تتخذها المؤلفات المصنفة ضمن الأدب السلطاني أو مرايا الأمراء فهذه المؤلفات تتخذ شكلين أساسين، الشكل الأول خطاب مباشر يوجه نصائح مباشرة كما في الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع. أما الثاني فهو أدبي فني يتخذ الرمز والتمثيل وسيلة للتعبير عن الفكرة أو النصيحة. وهنا يدخل الاعتبار أو التلقي أو القراءة عنصرا فاعلا في تأليف الكتاب أو إرساله. ويعتمد الشكل الثاني على ((نوعين من النصوص:

– أولهما يجمع مجموعات من الحكايات التي تصور شخصيات تاريخية... وتورد وقائع واحداثا من المفترض انها واقعية...

– أما النوع الثاني فهو يتألف من حكايات خرافية أبطالها حيوانات))[١٥].

يدخل كتاب فاكهة الخلفاء في نوع الآداب السلطانية من حيث الخصائص العامة التي يتحدد بها هذا النوع. فموضوعه الحكم وشؤونه والحاشية والعمال والرعية. والغاية النصيحة التي تتخذ مستويات متعددة وتفصيلات كثيرة وان اختصرت في جملة واحدة مفادها "ان على الحاكم ان يكون عاقلا مدبرا يؤمن بالعقل والحكمة وسيلة لإدارة الملك ولتجاوز العثرات". أما الكيفية فهي اعتماد الحكاية أو ضرب المثل، فالراوي في الكتاب يلجأ إلى القص على السنة الحيوانات طريقة لنصح الملك وإعلامه بما ينبغي أن يكون عليه في سلوكه وتفكيره. وكثيرا ما تُضمن الحكاية على السنة الحيوانات حكايات واقعية أبطالها أشخاص حقيقيون تاريخيون ككسرى أو الاسكندر أو كتيمورلنك وجنكيزخان وغيرهم.. ولكن هل يعني تصنيف الكتاب

ضمن هذا النوع نفي خصوصيته؟ وهل يعني ذلك انه لا يختلف عن الكتب الأخـــرى ضـــمن النوع نفسه؟

يتحدث كليطو عن النوع بوصفه الموجه الأول للكتابة وللقراءة وبوصفه مـــن بعـــد الخط الأول من خطوط النقد. ويتشكل النوع من تواطؤ مجموعة من النصوص على احتـــرام عناصر معينة، والتزام ما هو أساسي منها، كما تغفل أو تتخلى عما هو ثانوي. وهي تحترم ما هو أساسي لأنها إن خرجت عنه خرجت من النوع، ولم تعد تنتمي إليـــه، أو كونـــت نوعـــا جديدا(١٦). ولكن هذا لا يعني أن الثانوي يغيب تماما فلا ينفع في تكوين خصوصية المكتـــوب، وفي رسم ملامح تميزه عن المكتوبات الأخرى ضمن النوع نفسه. وإذا تأكد أن الأساسي فـــي المؤلفات المسماة "أدب السلطان" هو (الموضوع والكيفية والغاية) –وهي عناصر موجودة في كتاب المفاكهة– فالسؤال هو: ما الثانوي أو غير القادح في النوع؟ وما فائدتـــه فـــي إظهـــار خصوصية المفاكهة عن غيره من الكتب، وليكن عن كتاب كليلـــة ودمنـــة بوصـــفه الكتـــاب المركزي في هذا النوع من التأليف.

أظن أن الثانوي من خصائص نوع الأدب المؤلف للـــسلطان يتمثـــل فـــي الطلـــب وتوظيف التجربة وثنائية الملك – المؤلف. وسيناقشها البحث على الشكل الآتي:

- الطلب، أي أن يطلب الملك من الحكيم تأليف كتاب فيه نصيحة له، وحكمة وموعظة وأدب يستفاد وينتفع به. وقد مر طلب دبشليم الملك من الحكيم بيدبا تـــأليف كتـــاب بمواصفات محددة فكان كليلة ودمنة.
- التجربة تمثيلا وتمثلا، ومعلوم أن التجربة تتخذ موقعا متميـــزا فـــي الأدب عامـــة والأدب السلطاني خاصة، فالمؤلف يلجأ إلى حكايات مأثورة عن اليونـــان والفـــرس والهنود وعن النبي وأصحابه والخلفاء الأوائل ليضعها في كتابه. ومعلوم أيـــضا أن أي سرد للحادثة أو الواقعة وأي حفظ لها في الذاكرة يعني أنها ليست بريئة، ويعنـــي أنها تنطوي على عبرة أو فكرة أو دلالة تستحق العناية، وتستحق الانتخاب وإعـــادة السرد في سياق جديد يبرز جانبا من جوانب العبرة الذي يراد الاستفادة منه في سياق النوع الأدبي. وهكذا يتحول التاريخي إلى منبع للتجربة ومصدر للحكمـــة والعبـــرة، فالتجربة إذا ما وظفت توظيفا حسنا ستكون خير ناصح وخير موجه للتفكير وخيـــر مقوم للسلوك. وقد يتميز الأدب السلطاني عن غيره من الأنـــواع الأدبيـــة القديمـــة

الأخرى كالخبر أو المقامة أو الخرافة أو السيرة في انه يستفيد من التجربة في تقرير حقيقة أو قيمة يراها المؤلف حرية بان تقوي مكانة الملك وتعزز حكمه وتسعى إلى إعادة النظر في أي انحراف محتمل عما يليق بالملوك من قول أو فعل أو تفكر، من غير أن يناقش صراعا بين أكثر من فكرة ومن دون أن يسعى إلى الاستفادة من الواقعة أو التجربة في طرح موقف أو رأي مما يجري أو جرى، فهذه الكتب ((في عرضها لنصائحها الهادفة إلى تقوية السلطة ودوام الملك، تتبع... منهجية، أو لنقل تصورا عمليا براغماتيا يجعل منها في النهاية فكرا سياسيا اداتيا لا يطمح إلى التنظير بقدر ما يعتمد التجربة، ولا يتوق إلى الشمولية بقدر ما يلزم حدود الواقع السلطاني، دونما قفز على ما يتيحه من إمكانات))[١٧].

- موقع الملك أو ثنائية المؤلف–الملك، وقد ذُكر أن هذا النوع من التأليف يتجه إلى الملك والى كل ما يتصل به من شؤون إدارة الدولة أو الحاشية أو الوزراء وموظفي الدولة أو الرعية. وربما يكون ذلك على حساب المكتوب وعلى حساب المؤلف، بحيث يظهر المكتوب تكرارا ونسخا للمكتوبات الأخرى ضمن النوع الواحد فلا يضيف ((اطلاعنا على كتاب سياسي سلطاني... لمعلوماتنا عن هذا الأدب السياسي أي جديد من شأنه أن يناقض فرضياتنا))[١٨]. وبحيث ينسحب ويمحي ((المؤلف مهما كانت عدته الثقافية والفكرية... أمام قواعد النوع الذي يكتب فيه))[١٩] فلا يعود له أي دور أو اثر أو موقف أو رأي فهو ينقل التجارب والوقائع والحكايات وينظمها في نسق محدد واحد هو نسق نصيحة الملك ليدوم ملكه، وليظهر المؤلف مدافعا عن المُلك وناصحا للحاكم مكلفا بنصحه تكليفا أخلاقيا وعقليا فـ ((الواجب على العلماء تقويم الملوك بألسنتها وتأديبها بحكمتها وإظهار الحجة البينة اللازمة لهم ليرتدعوا عما هم عليه من الاعوجاج عن العدل، فوجدت ما قالته العلماء فرضا واجبا على الحكماء لملوكهم ليوقظوهم من سنة سكرتهم))[٢٠].

تعد العناصر أعلاه ثانوية لأنه يمكن الاستغناء عنها أو تغيرها دون أن يخرج ذلك الكتاب من النوع، في حين يخرج الكتاب من أدب السلطان غياب الموضوع أو الكيفية أو الغاية. وهو ما يحصل مع المفاكهة فهو ينتمي إلى الآداب السلطانية لان فيه موضوعا هو الملك وما يتصل به وفيه كيفا هو التمثيل أو استعمال الحكاية على لسان الحيوان أو الواقعة

لنقل فكرة أو رأي، وفيه غاية هي نصيحة الملوك ((لتنبيههم لما آلت إليه الأوضاع السياسية من ضعف في بلاد العرب والمسلمين. ولذلك وضع - ابن عرب شاه – كتابه فاكهة الخلفاء على لسان الحيوان ليرمز به عن مضامين سياسية كبيرة))[٢١]. وهو في ذات الوقت يختلف عن المؤلفات الأخرى فيشكل نمطا متميزا ضمن نوع الأدب السلطاني يعمد إلى الثانوي من العناصر فيتلاعب بها، فهو يُؤلف من غير طلب من احد، إذ يعكف المؤلف على تأليف الكتاب في السنتين الأخيرتين من عمره في أثناء استقراره بمصر، لبيان وجهة نظره في الحكم وفي ما عاش وعاصر من أحداث سياسية. أي انه اقتراح مثقف ووجهة نظر. ولأنه كذلك فهو يوظف التجربة توظيفا آخر، لا لإقرار الواقع و القيم أو التشجيع عليها – كما مر– بل ليعرض وجهة نظره ويقدمها، ويبين ما ينبغي أن يكون عليه الحكم، فهو ينشئ صراعا بين نوعين من الحكايات تتضمن فكرة أو قيمة ثم ينتهي ذلك الصراع في نهاية الباب لصالح قيمة العقل والتدبير على حساب التسليم. وإذا كان الكتاب يقترحه المؤلف ويبنيه على وجهة نظره التي تتغلب وتسود. فهو تنصيب للمؤلف وإحلال له في موقع الملك الذي يصير ثانويا ومستجيبا ووسيلة ينتفع بها المؤلف ليعبر عن آرائه ويؤكدها. ويبين المخطط آلاتي العلاقة بين العناصر الأساسية والثانوية وأثرهما في تشكيل الكتاب المختلف:

عناصر أساسية	عناصر ثانوية	كتاب مطابق	كتاب مغاير
الموضوع	الطلب	موضوع بطلب	موضوع من غير طلب
الكيف	التجربة	تصاغ التجربة لتكريس الواقع	تصاغ التجربة للتنظير أو نقد الواقع والحكم
الغاية	الملك–المؤلف	الغاية تأكيد موقع الملك	الغاية تأكيد حضور المؤلف وموقعه

مخطط (١) يبين العناصر التي تجعل كتاب المفاكهة مختلفا

يمثل كتاب فاكهة الخلفاء نمطا مفارقا ومتميزا، يستحق العناية والبحث، يتصل بـــ "أوهام ابن عرب شاه".

المنهج – لماذا الوظائفي؟

إننا أمام نوع سردي، أي حكايات تدور فيها الأحداث في ترتيب معين ولغايات معلنة يتولى الراوي فضحها –بقوله الذي يكرره في نهاية كل حكاية بصيغة (وإنما أردت بهذا)– ومضمرة يتولى فضحها البحث بمساعدة المنهج الذي يراه مناسبا. واذا كنا أمام بنية سردية مكونة من مستويين (الشكل والمحتوى) فسيكون علينا تحري منهج نقدي مناسب لدراسة كتاب فاكهة الخلفاء من بين تيارين أساسين تحدث عنهما النقاد، أولهما السردية الدلالية، وثانيهما السردية اللسانية[٢٢]. ويذهب الباحثون في الاتجاه الأول إلى العناية بالمضمون ويرون ضرورة ((دراسة الحكاية اعتمادا على بنائها الداخلي))[٢٣] ويرون أن ذلك البناء يميل كثيرا إلى الثبات والى الاستقرار، فهو مكون من عناصر أو وحدات تتكرر في أية قصة أيا يكن شكلها – كما يقول بريمون – قصة أو فيلما أو تلخيصا للقصة والفيلم[٢٤]. وستركز الجهود اللاحقة على اغناء مبدأ ثبات الوحدات الذي اقترحه بروب مضيفة مسارين:

الأول: لكريماس، ويؤكد على الأثر الثقافي، والتأويلي، الواقع على العناصر الثابتة إذ أن الأسباب التي جعلت الحكايات الخرافية تخضع لسلسة وحقيقة واحدة ((ينبغي تلمسها خارج الحكايات نفسها أي في الواقع الثقافي الذي نشأت فيه))[٢٥].

الثاني: لبريمون، ويؤكد المنطق الذي يحكم تتابع العناصر أو الوظائف في الحكاية. فقد لاحظ أن هناك أنواعا من الحكي لا تخضع لنمط واحد من التتابع ((لان مساراتها تتفرع بحيث يمكن للسارد أن يختار السير في اتجاه دون الاتجاهات الأخرى، ولهذا فان خارطة الحكي لم تعد قاصرة على مسار واحد، ولكنها انفتحت على مسارات متعددة))[٢٦].

أما الاتجاه الثاني، من اتجاهات الدراسة السردية، فهو "اللساني" الذي يرى أن السرد ((هو الكيفية التي تروى بها القصة عن طريق هذه القناة نفسها، وما تخضع له من مؤثرات، بعضها متعلق بالراوي والمروي له، والبعض الآخر متعلق بالقصة ذاتها))[٢٧] وبذلك يكون هذا الاتجاه معنيا بالراوي والرواية وأنواعها وبعالم المروي وما يشكله من أحداث وشخصيات وزمان ومكان.

يتولى المنهج رصد مستوى من مستويات (القصة أو السرد) وتبيين عناصره وعلاقاته، ليتوصل من خلال ذلك التوصيف إلى ما يرجح أن النص يريد أن يقوله والى ما

يريد أن يصل إليه الباحث من نتائج. أما لماذا الوظائفي منهجا لدراسة فاكهة الخلفـــاء؟ فـــذلك يرجع إلى أمور منها :

أولا: إن الشكل أو البنية السردية في الكتاب بسيطة، فهي –من حيث أسلوب الرواية– تعتمـــد التضمين نسقا وتلزمه على مدى الكتاب الذي يتكون من حكاية إطارية تتضمن حكايات صغرى. وهي على مستوى الحكي غير معقدة أيضا، إذ ينطوي الكتاب على مجموعة من الحكايات البسيطة التي لا يكاد يظهر فيها مكان أو زمان مؤثرين ولا شخـــصيات مركبة، ذات صفات نفسية أو مظهرية تُذكر ولعلها اقرب إلـــى وســـائل لنقـــل الفعـــل وإظهاره. وأحيانا يميل المحكي إلى الامتياح من الخرافي والغرائبي، الذي يمارس نفس الدور الذي تمارسه الشخصيات التاريخية والحقيقة. دون أن يؤثر ذلك على الحكي.

ثانيـــا: إن بساطة بنية الحكايات يعود إلى أنها تتخذ تمثيلا لما اصطلح البحث علـــى تـــسميته "أوهام ابن عربشاه" التي تنطلق من فكرة مسبقة تقوم على إبراز ملامحها وخصائصها التي تراها مقدمة عن طريق اشتقاق نسق مغاير تُخلع عليه القـــيم المرغـــوب عنهـــا، وتدخله في صراع واضح، معبر عنه، يُحسم لصالح النسق الذي يمثل الفكرة المرغوب فيها. إن مثل هذا البناء يركز على الثابت والمتكرر في الحكايات ويقدمه على المتغيـــر والشكلي، لأنه يتوخى البرهنة والإقناع، ولأنه يريد أن يصل إلى قراءة واحدة يؤمن بها كل قارئ للكتاب أو متلق له. ولما كان المنهج الوظائفي يؤكد على الثابت والمتكرر فقد وُجد انه الأقرب لهذا الكتاب وربما لهذا النوع على حد زعم بعض الدارسين[٢٨].

المبحث الأول
بنية الوظائف

سوف نتحدث عن المستوى العميق للحكاية في كتاب فاكهة الخلفاء، أو عن العناصر الثابتة[٢٩] التي يتشكل على أساسها "الخطاب" ولكي تتضح ملامح ذلك المـــستوى لا بـــد مـــن تحديد النقاط الآتية:

أولا: إن الوظائف أو العناصر التي تبنى عليها الحكايات محدودة لا تتجـــاوز الأربـــع، مـــع ملاحظة أن العنصرين الأخيرين، أي الوقوع في المحذور والنتيجة، يتضمنان الوقـــوع

في المحذور الذي يقود إلى الفشل أو تجاوز المحذور الذي يؤدي إلى النجاح وتحقق الرغبة التي انطلقت منها الحكاية.

ثانيا: يتضمن كل فعل من الأفعال الأساسية الأربعة مجموعة من الأفعال الثانوية التي تقع ضمنه. وهي ثانوية لأنها لا تغير منفردة سير الحكاية، كما لا تظهر منفردة أبدا وإنما تظهر مصحوبة بالأفعال الأخرى ضمن ما يمكن أن يكون قريبا من مفهوم "السلسلة" أو متتالية الأفعال الثانوية التي تنتظم كلها تحت واحد من الأفعال الرئيسة الأربعة. ولكي تتضح هذه الملاحظة لا بأس من النظر في ما تتضمن الوظيفة الرئيسة الثانية اعني ظهور المحذور الواردة في حكاية ملك السباع ونديميه أمير الثعالب وكبير الضباع[٣٠] من أفعال ثانوية مثل:

- غفوة الملك وما تبعها من أفعال: ((فاستند إلى متكاه فانحل من طرفه وكاه))[٣١]
- ملاحظة النديم أبي نوفل ما يصدر عن الملك
- انتباه الملك وتظاهره بعد ذلك بالنوم ليرى ما يفعل النديم
- سخرية النديم أبي نوفل مما بدا من غفوة الملك وتفضيله نفسه علما وحكمة سلوكا – وهو المرؤوس – على سيده الأسد
- غضب الملك على النديم والأمر بحبسه وتوعده بالموت عقابا له

كل هذه الأفعال ثانوية فهي لا تأتي في الحكاية مفصولة عن أخواتها في السلسلة لأنها لا تؤثر في سير الحكاية منفردة وهي تشكل مجتمعة ما يصح أن يطلق عليه "محذورا" وهو انسياق الملك لغضبه وتقديم الانتقام على العفو.

يساعد هذا الاختزال الإجرائي في تحديد بنية الوظائف في حكايات الكتاب، وهي بنية بسيطة ومكررة لا تخرج عنها أية حكاية –كما يزعم البحث– مكونة من وظائف أربع رئيسة تُذكر على الترتيب الآتي:

أ– النقص:

وهو الرغبة أو الحاجة إلى أمر مادي، كأن يكون الرغبة في طعام أو مال أو ملك. ومعنوي كأن يكون الرغبة في معرفة أو إشادة أو ذكر حسن. وتكاد تكون هذه الوظيفة المحرك الأول لأية حكاية، فهي ما يُدعى "اللا توازن" أو "اللا استقرار" الذي يتطلب فعلا آخر

مختلفا عن الفعل الأول الذي تفتتح به الحكاية، ويستدعي الفعل الثاني فعلا ثالثا ورابعا.. إلى أن تصل المتتالية السردية إلى نهايتها بالوصول إلى التوازن أو إلى الاستقرار أو إلى الفعل الذي يكتفي بنفسه ولا ينفتح على فعل آخر مكمل.

تظهر هذه الوظيفة في حكايات كتاب فاكهة الخلفاء الافتتاحية –أي التي تأتي في أول الكتاب وتبين سبب تأليفه أو في أول أبوابه– كما تأتي في الحكايات الثانوية ضمن الأبواب. ففي الباب الأول وهو ((في ذكر ملك العرب الذي كان لوضع هذا الكتاب السبب))[٣٢] تظهر وظيفة النقص في رغبة الملك في أن يعرف حقيقة نية أخيه الحكيم حسيب ليحفظ ملكه مما نما إليه من تآمر إخوته عليه. وفي الباب الرابع وهو (في حكاية ملك السباع ونديميه أمير الثعالب وكبير الضباع) تظهر وظيفة النقص في الحكاية التي يفتتح بها الباب وتتمثل في رغبة الملك في أن يحفظ هيبته ويبقي ذكره الحسن. كما تتضمن الحكاية افتتاحية في الباب السادس وهو ((في نوادر التيس المشرقي والكلب الإفريقي))[٣٣] وظيفة النقص إذ يرغب الكلب الإفريقي في أن يصير ملكا ويتوق إلى ذلك.

وتظهر وظيفة النقص في الحكايات الصغرى ضمن أبواب الكتاب ففي حكاية مالك الحزين مع السمكة[٣٤] تتمثل وظيفة النقص في رغبة السمكة في معرفة سبب تغير حال مالك الحزين وهزاله. وفي حكاية عماد الدولة تتمثل في رغبة الأخير في الحفاظ على ملكه الذي يهدده نفاذ الأموال من خزائنه وظهور بوادر تمرد جنده عليه. وفي حكاية الفريرة مع الهريرة[٣٥] تتمثل وظيفة النقص في رغبة الفارة في مصالحة الهرة لتضمن بقاءها حية في جواره منعمة بخير الدار الذي يؤويهما. وفي حكاية السائح المدعي تمثل الوظيفة في رغبة السائح في أن يقطع الشجرة التي وجد الناس يعبدونها في قرية مر بها. وفي حكاية انوشروان مع الحمار[٣٦] تتمثل وظيفة النقص في رغبة كسرى في أن ينشر العدل في كل أنحاء مملكته فيعم الإنسان والحيوان.

ب– ظهور المحذور:

وهي الوظيفة الثانية الرئيسة، و المحذور هو ما ينبغي التنبه إليه وما يُعمل على درئه بالحيلة والتفكر. وهو الممنوع الذي يؤثر في سير الحكاية واتجاهها. ويتمثل في ظهور ما من شانه أن يدفع الشخصية إذا انتبهت إليه إلى تجاوزه، أو إلى الوقوع فيه إذا لم تنتبه إليه.

ولا تخلو حكاية –تودع في سياق هذا النوع من الكتابة– من محذور يُحتال له، أو يُغفل عنه، ويظهر هذا المحذور صريحا، وضمنيا. والصريح قليل، كذلك الذي يرد في حكاية عماد الدولة، إذ المحذور هو انقلاب قادة جيشه وجنوده عليه واستيلاء أعدائه على ملكه، لان أمواله نفدت ولم يعد يستطيع الإيفاء بمستحقاتهم عنده. أما الضمني، فهو الأكثر والغالب على الحكايات، ويرجع غلبة هذا الشكل إلى أن الحكايات تعتمد التدبير وإظهار دور العقل الذي لا يأتي إلا من التنبه والتيقظ للمحذور الذي لا يكشف عنه. ويمكن متابعة وظيفة ظهور المحذور في الحكايات الآتية:

- الحكاية التي كانت السبب في تأليف الكتاب وتتمثل وظيفة ظهور المحذور في اتجاه الملك أخي الحكيم إلى إنزال العقاب بأخيه حسيب ومعاقبته، ثقة بوزيره الكاره للحكيم، وتغليبا للغضب على الحلم ولنزوات النفس على العقل.
- الحكاية التي يُفتتح بها الباب السادس (وهي في نوادر التيس المشرقي والكلب الإفريقي) وتتمثل وظيفة ظهور المحذور في الطبع الكلبي الرديء الذي يُخشى أن يغلب على الكلب الذي يريد أن يصير ملكا متوجا.
- حكاية مالك الحزين مع السمكة، وتتمثل وظيفة ظهور المحذور في أن يكون مالك الحزين مدعيا لم يتب إلى الله مما فعله في حق السمك، ولم يزهد أو يتغير، ومحتالا يريد أن يأكل السمكة.
- حكاية الفريرة مع الهريرة، وتتمثل وظيفة ظهور المحذور في أن يغلب طبع الهرة، الذي يكن العداوة للفأرة، على عقلها الذي يرى فيها صاحبا مخلصا أنقذه من موت محقق، ومن هزال وضعف وجوع بما حمله إليه من زاد وماء.
- حكاية السائح المدعي، وتتمثل وظيفة ظهور المحذور في أن يغلب طمع السائح فيقبل بالدينار الذهبي الذي يقترحه عليه الشيطان الذي يسكن الشجرة ويغوي الناس من ورائها.

ج– تجاوز المحذور– الوقوع فيه:

وهي الوظيفة الثالثة الرئيسة، وتحيل إلى وقوع الشخصية في المحذور لعدم انتباهها إليه. ولكن هل تكون الوظيفة الثالثة الوقوع في المحذور في كل الحالات؟ الإجابة: كلا.. إذ

تتفرع هذه الوظيفة إلى فرعين؛ الأول: الوقوع في المحذور، والثاني: تجاوز المحذور. ويأتي من تنبه الشخصية للوظيفة الثانية –اعني ظهور المحذور– واحتيالها لتجاوزه وسوف يؤثر الوقوع في المحذور أو تجاوزه على نتيجة الحكاية.

و لنبدأ بالشكل الأول من شكلي الوظيفة –اقصد تجاوز المحذور– ويظهر في أكثر حكايات المفاكهة، كما في حكاية الملك مع أخيه الحكيم حسيب إذ تظهر هذه الوظيفة في إصغاء الملك لصوت العقل ولحكمة أخيه الحكيم وتغليبها على صوت الوزير الداعي إلى قتل الإخوة كلهم وفيهم حسيب. ولعل الانقياد إلى صوت الوزير كان سيؤدي إلى الوقوع في المحذور، وهو الاستجابة لنوازع النفس ودواعي الهوى. وتظهر هذه الوظيفة ذاتها في حكاية الملك ونديميه في الباب السادس إذ يعفو الملك عن نديمه أبي نوفل الذي أساء إليه ولم يلتزم أدب النديم في مصاحبته، وبذا يتخلص من الوقوع في المحذور، وهو الانقياد للغضب وإنزال الموت بالمسيء، الشيء الذي حثه عليه وزيره الدب، وسيكون ذلك على حساب سلوك الملوك الذي يجلب إتباعه جميل الذكر. وتظهر هذه الوظيفة في حكاية التيس المشرقي والكلب الإفريقي، التي يفتتح بها الباب السادس، إذ يُغلب الكلب، الذي يريد أن يصير ملكا، العقل على الطبع الكلبي اللئيم.

أما عن الشكل الثاني للوظيفة –أي الوقوع في المحذور– فيمكن أن نتابعه في الحكايات التي مر ذكرها وعلى الصورة الآتية:

- حكاية مالك الحزين مع السمكة، وتتمثل وظيفة الوقوع في المحذور في تصديق السمكة قول مالك الحزين الذي يدعي فيه التوبة.
- حكاية السائح المدعي، وتتمثل وظيفة الوقوع في المحذور في استجابة السائح لطمعه وقبوله الدينار الذهبي الذي يفرضه له الشيطان كل يوم.
- حكاية الفريرة مع الهريرة، وتتمثل وظيفة الوقوع في المحذور في ثقة الفارة بالهر وتقديم الغذاء له لمساعدته حتى يشفى ويقوى ويعود إلى حالته الأولى.
- حكاية تيمولنك مع وزيره[٣٧]، وتتمثل وظيفة الوقوع في المحذور في نصح الوزير تيمورلنك بان يكف عن محاولته فتح القلعة التي استعصت على جيوشه فهي تستهلك قوته وتفني جيشه دون فائدة تعود عليه.

- حكاية الهدهد المغرور بعقله[٣٨]، وتتمثل الوظيفة في وقوع الهدهد في يد الصائد الصغير فيُذهب بهاءه ويجعله لعبة بيد الصغار.

د- النتيجة (النجاح – الفشل) :

وهي الوظيفة الرئيسة الرابعة، التي تنهي الحكاية، وتعتمد على الوظيفة الثالثة –أي الوقوع في المحذور أو تجاوزه– فإذا تم تجاوز المحذور بالحيلة أو بمساعدة قوة خارقة فستكون الوظيفة الأخيرة النجاح أو الوصول إلى تحقيق الرغبة. أما إذا كانت الوظيفة الثالثة الوقوع في المحذور لعدم الاحتيال له أو لحكمة ما، فستكون الوظيفة الأخيرة الفشل أو عدم تحقق الرغبة.

وإذا عدنا إلى الحكايات التي يتم فيها تجاوز المحذور فسنجد الوظيفة الأخيرة النجاح. كما في حكاية الملك مع أخيه الحكيم حسيب، إذ يرى الملك صواب رأي الحكيم ويدعوه إلى جمعه وإخوته على كلمة واحدة تحفظ الملك والمملكة، ويؤدي ذلك إلى وظيفة النجاح التي تحيل إلى تحقق الرغبة، وهي رغبة معنوية تتمثل في دوام الملك وبقاء ذكر الملك. وفي حكاية الملك مع نديميه أبي نوفل وأبي نهشل يتجاوز الملك المحذور فلا ينقاد إلى غضبه ولا إلى رأي وزيره الدب اللئيم، فيؤدي ذلك إلى النجاح والى تحقيق رغبة الملك المعنوية في بقاء جميل الذكر له. في حكاية التيس المشرقي والكلب الإفريقي تؤدي وظيفة تجاوز المحذور، إلى وظيفة النجاح وتتحقق رغبة الكلب في أن يكون ملكا عاقلا عادلا محبوبا في رعيته.

أما إذا نظرنا إلى الحكايات التي تكون فيها الوظيفة الثالثة الوقوع في المحذور فسنجدها تنتهي بالفشل أو عدم تحقق الرغبة. ففي حكاية مالك الحزين مع السمكة تقع السمكة في المحذور فتصدق ادعاء مالك الحزين، فتنتهي الحكاية بوقوعها في الفخ، إذ يأكلها الطائر لتكون الوظيفة الأخيرة الفشل. وفي حكاية السائح المدعي تقود الوظيفة الثالثة، أي الوقوع في المحذور، السائح إلى الفشل فلا تتحقق رغبته في قطع الشجرة المعبودة. وكذلك في حكاية الفريرة مع الهريرة يؤدي الوقوع في المحذور إلى فشل الفارة في العيش مع الهرة – التي تميل طبعا إلى عداوتها – عيش سلام وود. وفي حكاية تيمولنك مع وزيره يؤدي تحقق وظيفة الوقوع في المحذور إلى الفشل. إذ يأمر تيمورلنك بخلع الوزير من منصبه وتجريده من ماله

وجاهه، فيتركه وحيدا فقيرا ذليلا. وفي حكاية الهدهد المغرور بعقله يؤدي وقوع الهدهد فـــي المصيدة إلى الإمساك به فلا تتحقق رغبته في إثبات تفوق علمه وعقله على حيل الصائد.

ويوضح المخطط الآتي بنية الوظائف في حكايات الباب الخامس:

الحكاية	أ. النقص	ب.المحذور	ج. تجاوز المحذور	جَ. الوقوع في المحذور	د. النتيجة (النجاح)	دَ.النتيجة (الفشل)
الملك مع نديميه	رغبة الملك في الحفاظ على هيبته وعلى الذكر الحسن	الاستجابة للنفس الذي يمثله الوزير الدب	الاستجابة للعقل الذي يمثله النديم أبو نهشل		تحقق الرغبة	
الحرامي مع البرغوث	الرغبة في ما في خزائن الملك	ان يُدرى بأمر الرغبة في السرقة		إفشاء السر لبرغوث يدل عليه		عدم تحقق الرغبة
الهدهد المغرور بعقله	الرغبة في إثبات تفوق العقل	ان يُغلب العقل		الوقوع في قبضة الصائد		عدم تحقق الرغبة
واقعة ابن سليمان	الرغبة في الحفاظ على الذكر الحسن	الاستجابة لرغبة النفس في الانتقام	العفو عن قاتل أبي الرجل العباسي لأنه مستجير به		تحقق الرغبة	
الملك الصافح	رغبة الملك في الحفاظ على الذكر الحسن	الاستجابة للغضب	العفو عن العدو والاستجابة للحلم		تحقق الرغبة	

مخطط (٢) يبين بنية الوظائف في الباب الخامس من كتاب فاكهة الخلفاء

المبحث الثاني
منطـــق الحكـــي

هل تتجه الكتب مباشرة إلى التعبير عن الأفكار وعن المواقــف؟ أمــا الكتــب ذات الصوغ السردي –الحكائي– فلا. لأنها تتخذ الحكاية قناعا تختبئ وراءه وتعبر عــن أفكارهــا ومواقفها بواسطته، لا فرق في ذلك بين كتاب قديم كفاكهة الخلفاء، أو حديث كرواية لنجيــب محفوظ. وحتى نفهم الأدب، أو النص المنسوب إلى عالم الأدب، ونكون عنه تصورا أو رأيا لا بد من أن نعاين الآلية أو الإستراتيجية التي تكون المحرك الأهــم لكــل عناصــر الــنص ومكوناته. والمحرك الأهم للحكايات المختلفة داخل الكتاب –إذا كنا نحلل كتابا كفاكهة الخلفاء.

والآلية هي القواعد التي يضم على أساسها الكتاب الحكايات إلى متنه ويصنفها فــي ذلك الكتاب، على أبوابه، مثلما يصنف الحكايات داخل الأبواب. وتتصل القواعد بالنسق، الذي يشكل البنية الأعمق، التي تشكل الكتاب بكل حكاياته وتشكل المعنى – والدلالــة فيمــا بعــد. ويقترح النسق قيمة مفضلة، وضدها قيمة مرفوضة. لتسهم الثانية في زيادة توضح الأولــى. وإذا كان النسق مجردا أو ذهنيا، فان ما يعبر عنه ويظهره، يسميه البحث "ســياق الحكايــة". وسياق الحكاية، هو المسار الذي تنتظم فيه الحكايات التي تمثل قيمة من القيمتين المتضادتين، كالعقل والقدر، وسوف يكون هذا السياق موجها لمنطق الحكاية، التي تُنتقى إيفاء بــشروطه. وقد اقترح البحث للحكايات التي تأتي في السياق الأول المرغــوب فيــه تــسمية "الحكايــات الأصلية" زاعما أنها تعبر عن الموقف المثقف الذي يتبناه الكاتب. أما الحكايات التي تنتظم في السياق الثاني المرغوب عنه فقد اُقترحت له تسمية "الحكايات المقابلة" زاعما أنها تعبــر عــن موقف السلطة، أو المقربين منها كالوزراء والمستشارين. أما منطق الحكــي[٣٩]، فهــو فــي البحث، ترتيب الوظائف في الحكاية ترتيبا محددا، يخضع لسياق معين، بحيث يؤثر في الحبكة وينهي الحكاية نهاية ما، تؤثر في دلالتها وتحدد دورها ضمن نسق الكتاب.

يرى بريمون أن تسلسل الوظائف يأتي محكوما بأمور ثلاثة ((أولا: تحديــد هــدف. ثانيا: اتخاذ خطوات لتحقيق الهدف أو عدم اتخاذ أية خطوات لتحقيقه، ثالثا: ما يترتب علــى ذلك من نجاح أو فشل))[٤٠]. تُفتتح إذن، أية حكاية بهدف يحوي احتمــالين، يــؤدي اختيــار احدهما إلى التأثير في سير الحكاية وإنهائها النهاية التي تخدم الهدف من وراء السرد. ويترتب

–في كتاب فاكهة الخلفاء– على الهدف (الرغبة أو النقص كما ذُكر في مبحث الوظائف السابق) اتخاذ خطوات لتحقيق الهدف والوصول إلى التحسن ليترتب عليه تحقيق الهدف أو النجاح. أو عدم اتخاذ خطوات لتحقيق الهدف ليحصل الانحطاط، ويترتب عليه عدم تحقيق الهدف أو الفشل. ويحسن التمثيل للاحتمالات السابقة وما تنتهي إليه بالترسيمة الآتية:

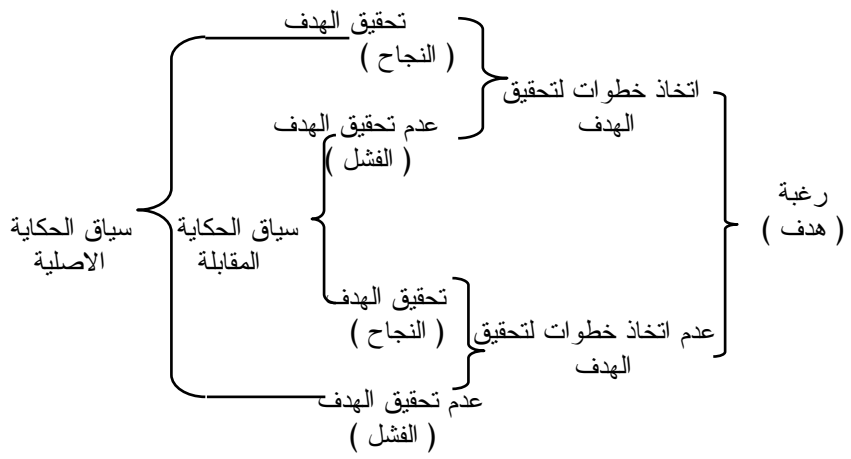

وسيكون لكل مسار تتخذه تلك الاحتمالات منطق تُبنى عليه مجموعة من حكايات فاكهة الخلفاء تبعا للسياق الذي ترد فيه تلك الحكايات –كما هو موضح في الترسيمة أعلاه– وعلى الشكل الآتي:

أولا: السياق الذي تنتظم فيه الحكايات الأصلية:

أ. تحسن حاصل بعد اتخاذ خطوات مناسبة للتخلص من الانحطاط المحتمل:

تنتظم في هذا المسار الحكايات التي تُفتتح بها الأبواب مثل الحكاية في الباب الأول المبينة سبب تأليفه. كما يحكم المنطق نفسه حكايات؛ الذئب مع الجدي المغني[٤١]، وابن آوى مع الحمار المتذمر[٤٢]، في الباب الأول. والتاجر المراقب[٤٣] في الباب الثاني. وصاحب البستان مع غرمائه الأربعة[٤٤]، والفارة الخداعة[٤٥]، في الباب الرابع. ومالك الحزين مع السمكة[٤٦]، في الباب السادس. والفارة مع رئيس الحارة[٤٧] في الباب السابع. وتكفي الإشارة إلى منطق الحكي في حكاية الذئب مع الجدي المغني لتبيين منطق الحكي في الحكايات

الأخرى المذكورة أعلاه. وملخص الحكاية إن جديا يضل القطيع فيقع في قبضة ذئب يراه غنيمة غير متوقعة. ويوقن الجدي النهاية غداء للذئب، فيلجأ إلى الحيلة عله يفلح فيخبر الذئب أن له صوتا جميلا مطربا، يزيد الشهية، فيسمح له بالغناء، فيرفع صوته ويبالغ حتى يسمع الراعي الصوت فيهب وتهب معه كلابه، ليتحول الذئب إلى صيد بعد أن كان صائدا، ولينجو الجدي.

تبدأ الحكاية بانحطاط محتمل إذ يقع الجدي في قبضة الذئب. وهنا يلوح احتمالان، الأول: أن يسلم الجدي ولا يتخذ أية خطوات للتخلص من الموت، فتعود الحكاية إلى الانحطاط. والثاني: أن يعمل الجدي على إيجاد مخرج من هذا المأزق، فيتخذ خطوات مناسبة لإجراء التحسن. وتسير الحكاية باتجاه الاحتمال الثاني فيحاول الجدي إقناع الذئب بأنه مغن مؤثر، وتتحرك الحكاية خطوة أخرى لتنفتح على احتمالين، الأول: أن تتوقف الخطوات المتخذة لإجراء التحسن بان يكتشف الذئب خدعة الجدي ويرفض طلبه ويسرع في القضاء عليه. وبذلك تعود الحكاية إلى حالة الانحطاط الأولى. والثاني أن تتواصل الخطوات المتخذة لإجراء التحسن بان يصدق الذئب ادعاء الجدي ويمنحه فرصة الغناء، فيغني ليسمعه الراعي ويخلصه من موت محقق، ليترتب على ذلك الوصول إلى التحسن المطلوب وتحاشي الانحطاط المتوقع. وتبين الترسيمة أسفل صورة منطق الحكي في هذه الحكاية والحكايات الشبيهة:

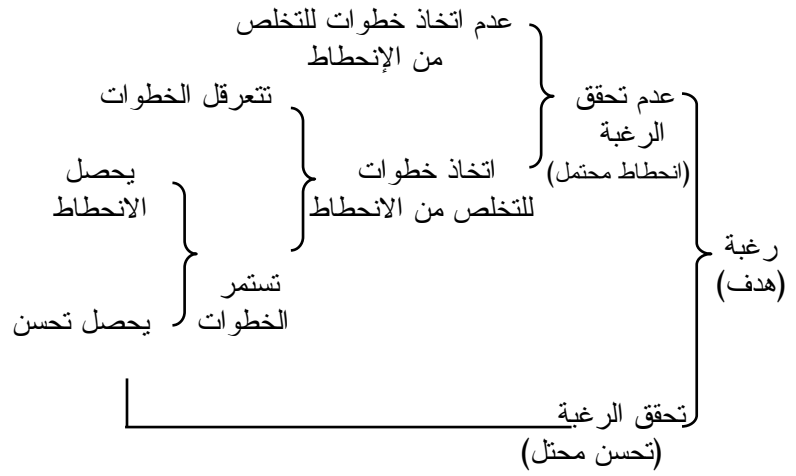

ترجح الاحتمالات السابقة الذكر، لان منطق الحكي ضمن هذا السياق يميل إلى تغليب التدبير واتخاذ خطوات مناسبة لتجاوز أي انحطاط محتمل، فليس غير العقل وسيلة تخلص الإنسان مما يواجه من صعوبات مستمرة.

ب. انحطاط حاصل بسبب عدم اتخاذ خطوات للوصول إلى التحسن المطلوب:

تنتظم في هذا السياق حكاية التاجر مع عبده الكذاب الفاجر(٤٨) من الباب الرابع. وحكاية الصياد مع القطة(٤٩) من الباب السابع. ويتضح منطق الحكي في الحكايات السابقة، إذا ما نوقشت حكاية التاجر مع عبده الكذاب الفاجر، أنموذجا. وملخصها: أراد تاجر ذو مال وذو زوجة ذات جمال أن يشتري عبدا لخدمته من السوق، فوجده وبه عيب، وعيبه يكذب مرة في السنة. فقبل التاجر العبد، ورأى أن العيب هين. ولما مرت السنة، دخل العبد على مولاته صارخا مستغيثا يخبرها أن مولاه قد هلك. وذهب بمثل ذلك إلى سيده قائلا أن البيت قد وقع على من فيه ((فهلك الكبير والصغير... فخرج وهو –التاجر– يستغيث))(٥٠). وحين ثبت للتاجر أن العبد كاذب وان العقاب عليه حق، ذُكر بالشرط، فصفح عنه. ولما مر العام ذهب إلى سيدته فاخبرها أن مولاه يخونها، ونصحها –إن أرادته– بمنجم ماهر يساعدها، على أن يأخذ من شعر زوجها ((ولكن ينبغي أن يكون من شعر لحيته النابت على ترقوته))(٥١). وطريقة الحصول عليها تقطعها بموسى حاد إذا هو نام. ولما حصل يقين عند الزوجة ذهب إلى الزوج فأنبأه أن زوجته تخونه، وتريد أن تتخلص منه حتى تتزوج من تتمناه. ويستطيع أن يتأكد من ذلك إذا اظهر نوما، فهي ستقدم على ذبحه. ويتناوم الزوج، وتتقدم المرأة لتقص الشعر من لحيته، فيتبين الموسى في يدها ((فما تمالك أن وثب عليها، وجثم إليها، وخرج زمام تفكره، عن يد تأمله وتدبره، وخطف الموسى من كفها، وسقاها كاس حتفها))(٥٢). أما هو فسيلقى القصاص على ما فعل.

تبدأ الحكاية بتحسن متوقع فالرغبة في الحصول على خادم تتضمن احتمالين، الأول: الحصول على خادم جيد. يحفظ التحسن المتحقق، فالتاجر ذو مال وله زوجة ذات جمال كما تذكر الحكاية. والثاني: الحصول على خادم فيه عيب –كأن يكون الكذب– وسيؤدي هذا الاحتمال إلى انحطاط محتمل. ويتضمن الاحتمال الثاني احتمالين كذلك، الأول: اتخاذ خطوات للتخلص من الخادم الكاذب، بعدم شرائه إذ عرف انه كاذب، أو بالتخلص منه بعد الكذبة

الأولى. وسوف يساعد ذلك في العودة إلى التحسن المطلوب. الثاني: عدم اتخاذ أية خطـــوات للتخلص من الخادم، كما حصل في الحكاية. وسوف يتضمن الاحتمال الثاني احتمالين، الأول: أن يُكتشف كذب العبد فلا تُقتل الزوجة، ليحصل التحسن المطلوب، رغم عدم اتخاذ خطـــوات مناسبة لذلك. والثاني: تنهي الحكاية بالانحطاط، إذ يقتل التاجر زوجتـــه وينالـــه القـــصاص. وحسب منطق الحكي في هذا السياق، يرجح الاحتمال الثاني، لان من لا يفكر فـــي عواقـــب الأمور ولا يتدبر يحيق به الانحطاط، ويصل أسوأ الدركات. ولتوضيح منطق الحكاية نـــضع المخطط الآتي:

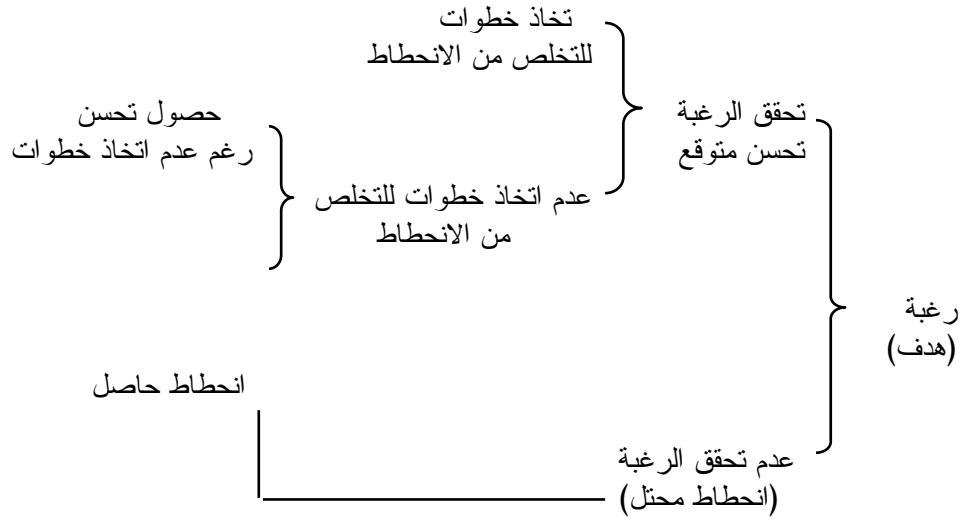

تنتظم في هذا السياق حكاية الجرذ والغزالة[٥٣]، وحكاية ابن سلطان بابل مع عمـــه الظالم[٥٤]. وضيف الحداد مع العفريت[٥٥]. في الباب الثاني. وحكاية عماد الدولة[٥٦]، وحكاية سعيد جقمق[٥٧]. في الباب السادس. وحكايات؛ الأسد الزاهد والجمل الشارد[٥٨]، والحائك مـــع الحية[٥٩]، والفلاح مع الذئب الشجاع[٦٠]، في الباب الثامن. ويجري التحسن غير المتوقع فـــي نهاية الحكاية رغم أن الانحطاط هو المتوقع من غير تخطيط أو تدبر، بل بتدخل من القدر، أو قوى خارقة كالجن أو العفاريت. ولنأخذ حكاية ابن سلطان بابل مع عمه الظـــالم، أنموذجـــا، يبين منطق الحكي في هذا السياق. وملخص الحكاية إن سلطان بابل لما دنا اجله، وكان ولده لا يزال صغيرا عهد إلي أخيه (وجعله وصيه)، وبعد أن مات الملك ظل الأخ وصيا إلـــى أن

كبر الصبي وظهر فضله، وخشي الأخ منه ((فاعمل الكيد، وخرج إلى الصيد، فتفرقت العساكر، وانفرد الملك الماكر، ومعه ابن أخيه... فوثب عليه، وفجعه بكريمتيه، وألقاه في البرية وحيدا أعمى))[٦١]. ظل ابن سلطان بابل وحيدا ضائعا ولا منجي له إلا الله، فتوجه إليه. وفي هذه الأثناء كان طائفة من الجن تأتي كل ليلة إلى شجرة يتذاكرون فيها أحوال بني آدم، فتذاكروا حادثة ابن سلطان بابل مع عمه الظالم، راثين للابن غير واجدين له طريقة للنجاة واستعادة الحق إلا أن يأخذ من (شجرة النور) عصارة يضعها على عينيه ليعود بصره، وإلا أن يذهب إلى ((الخرافة الفلانية، ففيها جحر حية بذية، وهي تابعة ملك بابل... وحياته متعلقة بحياته، وموته موقوف على مماتها... فبمجرد ما تموت الحية يموت))[٦٢]. ويسمع ابن سلطان بابل هذا الكلام فيفعل بما فيه، ليبصر، ويميت العم، ويعود إلى مملكته. وكل ذلك يجري دون أي تدبير منه، إنما هو عون من الله، على يد الجان الخيرين.

سيترتب منطق الحكاية هنا ترتيبا آخر مختلفا عن ذلك الذي حددناه في السياق الأصلي للحكايات، فهناك إذا لم تُتخذ أية خطوات للتخلص من الانحطاط المتوقع فليس من شك في أن الانحطاط سوف يحصل. وإذا لم تُتخذ خطوات للوصول إلى التحسن المطلوب، فليس من تحسن. أما هنا، فليس الأمر بهذه الصرامة العقلية، فثمة قوى لا قبل لعقل الإنسان بها قد تتدخل. وإذا عدنا إلى منطق الحكي في هذه الحكاية فسيظهر أن الرغبة، وهي رغبة الابن في أن يحصل على حقه في أن يكون ملكا، تتضمن احتمالين، الأول: تحقق الرغبة، بان يتخلى العم عن الملك لصاحبه بعد بلوغه ويؤدي ذلك إلى التحسن المتوقع. الثاني: عدم تحقق الرغبة، بان يستولي العم على الملك ويؤدي ذلك إلى الانحطاط. ويتخذ مسار الحكي الاحتمال الثاني الذي يتضمن احتمالين، الأول: اتخاذ خطوات مناسبة للتخلص من الانحطاط بان يتوقع الابن ما يحيكه له العم فيفكر في إحباطه. والثاني: عدم اتخاذ أية خطوات للتخلص من الانحطاط ، أي أن يترك العم يفكر ويتصرف دون تدخل من ابن السلطان. وتبعا لمنطق الحكاية يظهر الاحتمال الثاني الذي يتضمن احتمالين، الأول: انحطاط مؤكد، بان تنجح فعلة العم فيموت الابن. والثاني: تحسن متوقع بان تتدخل قوة ما لإنقاذ الابن وللتخلص من العم وإرجاع الملك له. وسوف يبرز في هذا السياق – سياق الحكايات المقابلة – الاحتمال الثاني الذي يترتب عليه تحقيق الرغبة والوصول إلى التحسن المطلوب كما في الترسيمة الآتية:

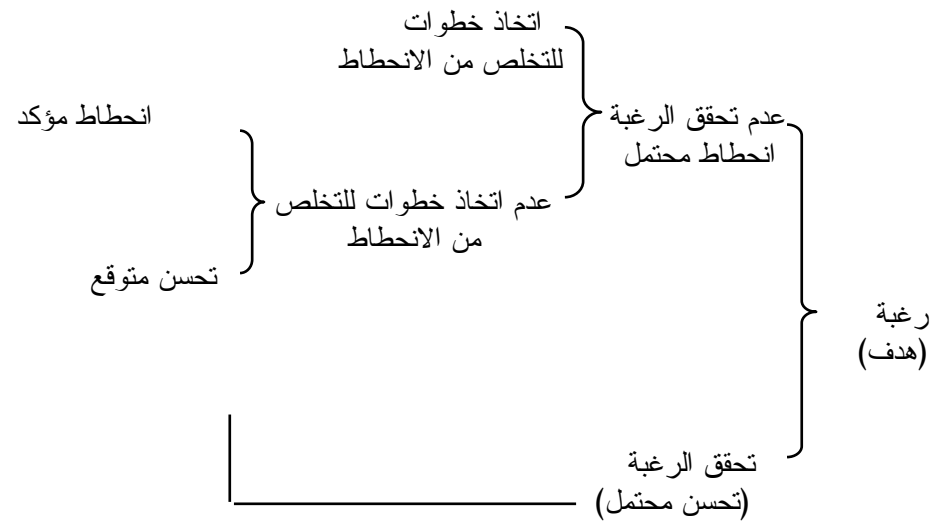

ب. انحطاط حاصل رغم اتخاذ خطوات لإحداث التحسن المطلوب:

وتأتي في هذا السياق حكاية نديم الملك مع صديقه المسافر[٦٣]، في البـــاب الثـــاني. وأخبار اللصوص الثلاثة[٦٤]، في الباب الثالث. وحكاية الهدهد المغرور بعقله[٦٥] مـــن البـــاب الخامس. وقصة الفريرة مع الهريرة[٦٦] في الباب السادس. وستكون أخبار اللصوص الثلاثـــة أنموذج هذا الشكل من منطق الحكي. وملخصها: أن لصوصا ثلاثة، لما أتموا سرقة صـــندوق مجوهرات كبير أحسوا بجوع فأرسلوا احدهم لشراء ما يحتاجونه من طعـــام. وفيمـــا الثالـــث غائب اتفق الاثنان على قتله ليُقسم المسروق على اثنين. أما ذلك الثالث فقد فكر فـــي قتلهمـــا ليفوز وحده بالغنيمة، فاشترى لهما سما وضعه في الطعام. فلما رجع اجتمع عليـــه اللـــصان الأولان ((ثم بعدما قتلاه، عمدا إلى الطعام فأكلاه، فبردا في الحال، وتركا ذلك المال))[٦٧].

يسير منطق الحكاية باتجاه تحسن متوقع يخطط له اللصوص ثلاثتهم، الاثنان الأولان والثالث الذي ذهب لشراء الطعام لهما. ولكن هذا التحسن يتضمن احتمالا آخر هو عدم تحقق الرغبة وحصول الانحطاط. ولكن لماذا يحصل الانحطاط إذا كان اللصوص يتخذون الخطوات اللازمة لحصول التحسن؟ يتضمن الاحتمال الأخير احتمالين، الأول: أن تؤدي الخطوات إلـــى تحقيق الرغبة والوصول إلى التحسن. والثاني: أن لا تؤدي الخطوات المتخـــذة إلـــى تحقيـــق

الهدف، فيؤدي ذلك إلى الانحطاط غير المتوقع. ويتجه منطق الحكاية وجهة مغايرة لما ألفنـــاه في السياق الأول –سياق الحكاية الأصلية– إذ هنا يؤدي التخطيط أو اتخاذ الخطوات اللازمـــة لتحقيق الهدف إلى التحسن، في حين يؤدي التخطيط هنا إلى الانحطاط وسيكون هـــذا الأمـــر منسجما مع سياق الحكاية المقابلة –الذي نناقشه هنا– إذ ليس التخطيط وحده بكاف. وتُظهـــر الترسيمة أسفل منطق الحكاية أعلاه:

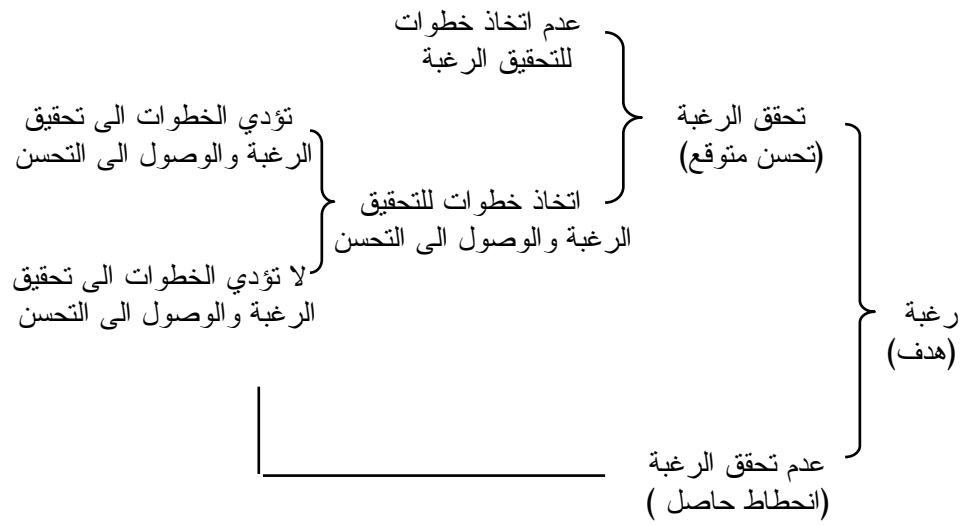

خلاصة
قناع ابن عربشاه

يناقش ابن خلدون دورة الدول وتغير أحوالها، فيرى أن للدولة وقتا معلوما فهي وان قامت على العصبية تضعف بضعفها وتزول بزوال أسبابها حتى تنتهي وتتلاشى وليس لعقل أو تدبر اثر في تدارك ما يحل بها، فللدول ((أعمار طبيعية كما للأشخاص وهي لا تعدو أعمـــار ثلاثة أجيال وأطوارها محسوبة و ((لا تعدو في الغالب خمسة أطوار)) كما ((أن الهرم إذا نزل بالدولة لا يرتفع))[٦٨]. بيد أن هذا ليس الرأي الأوحد، فهناك رأي آخر مخالف تماما، يرى أن العقل أساس كل شيء ((فغاية الناس وحاجاتهم صلاح المعاش والمعاد، والسبيل إلـــى دركهـــا العقل الصحيح، وأمارة صحة العقل اختيار الأمور بالبصر، وتنفيـــذ البـــصر بـــالعزم))[٦٩]. والمكلف بصلاح المعاش والمعاد هو الحاكم وهو الملك، والسبيل إلى إدراك وجـــه الـــصلاح وتمييزه من أوجه الفساد والبت في شانهما هو العقل. يعني ابن المقفع أن العقـــل يـــستطيع أن

ينجي الملك أو العمران، بتعبير ابن خلدون، من كل ما من شانه أن يكون سببا في انهيارهما وزوالهما.

لن يكون للأدب على رأي ابن خلدون دور إذ ((لا معنى لنصائح لا تعمل إلا على تغذية وهم الأديب السلطاني بإمكان إطالة أمد دولة تحمل معها شهادة وفاتها منذ ميلادها))[٧٠]. فالانهيار والتحول أمر حاصل لا محالة. فيما يرى ابن المقفع أن للأدب الدور الأكبر في استمرار الملك والحضارة وازدهارهما ما دام يقدم للحاكم ولمن يشتغل في شؤون الحكم التجربة اللازمة، لا مادة خاما، بل متمثلة في وعي المؤلف وفي فكره، ومتمثلة في نسق كتابي يصرح بمعنى ويومئ إلى معنى ابعد ننفذ إليه من السياق الذي ترد فيه التجربة، حكاية أو خبرا أو واقعة، ومن علاقته بالنسق الذي ينتج الكتاب، وربما نوع الكتابة كلها. يدرك العقل، إذن، العالم والأشياء والعلاقات وينظر إلى التجربة الإنسانية كلها، وقائع وتصورات ونصوص، ويعيد تنظيمها وتوظيفها في خطاب يحاول أن يجيب عن التساؤلات الأساسية التي تواجه الإنسان، كما يحاول أن يقدم له طريقة ذات عواقب محمودة للتعامل مع الحياة العاجلة ومع الحياة الآجلة، أي المعاش والمعاد – إذا لجأنا إلى تعبير ابن المقفع. فإذا شاعت الطريقة واتفق عليها ضُمن الاتفاق على القواعد التي تحكم المعاملات وتنظم الأدوار والعلاقات الأمر الذي يضمن استمرار وتيرة الحياة، ويساعد في تلافي أي معوق أو معطل قد يؤدي إلى الانهيار. ولن يكون امثل من الأدب قالبا لتبيين الطريقة، ولإظهار القواعد تلك.

وكأن ابن عربشاه يمسك بطرف من كتابه (فاكهة الخلفاء)، عند ابن خلدون، فهو ينشئ حوارا ضمنيا معه، في محاولة منه للبرهنة على عكس ما يدعيه، أي ليس الانحلال حتميا. ويقبض على طرفه الثاني عند ابن المقفع وعند تلامذته والسائرين في اتجاهه من مقدمي العقل ومناصريه. فيشكل من هذين الطرفين نسق الكتاب. فهو نسق يعتمد على إقامة الصراع بين العقل والتفويض الإلهي، أو القدر، نسق تنهض لتجسيده وتمثيله الحكايات في سياقين؛ سياق تمجد حكاياته العقل، وسياق تعلق حكاياته ما يصيب الملك من نجاح أو إخفاق على القدر وعلى ما يريد الله. يجسد نسق المفاكهة صراعا يتصل بطرفين متعاديين، قل أن يتفقا أو يجتمعا، الأول: الساسة أو أصحاب الحكم – على الواقع – والثاني: الحكماء أو المنظرين، الذين لا يملكون الحكم، ولا يديرونه في الغالب، ولا يعانونه إلا تخيلا. ويرى الطرف الأول أن الحكم إنما هو تفويض من الله وان الحاكم إنما هو ظل الله، وهو بذلك متفوق

على العامة، فوق النقد ولا تحيط بتصرفاته قواعد العقل ((وأنت إذا رجعت إلى كثير مما ألف العلماء، خصوصا بعد القرن الخامس الهجري، وجدتهم إذا ذكروا في أول كتبهم احد الملـــوك أو السلاطين رفعوه فوق صف البشر، ووضعوه غير بعيد عن مقام العزة الإلهية، فالله تعـــالى هو الذي يختار الخليفة ويسوق إليه الخلافة، والسلطان هو ظله في الأرض))[٧١]. وقد يظهـــر هذا الاتجاه ((أن العقل العربي مسكون ببنية المماثلة بين الإله والأمير))[٧٢]. فيما يرى الطرف الثاني أن الحكم ليس تفويضا، بل هو قدرة عقلية، تمكن من يؤتاها من أن يحفظ ملكه ويـــسعد رعيته، إذ بها يتخطى المآزق والمصاعب التي يكون الحكم محفوفا بها.

يمثل ذلك الصراع على طول الكتاب بالوزراء وبالحكماء. فيظهر الـــوزير شـــريرا ماكرا خبيثا كارها الحكيم الذي يظهر خيرا عاقلا حليما يدل الملك على أحسن السبيل ويرشده إلى تجاوز المحذورات والوصول إلى النجاح، ولـــن يكـــون الإرشـــاد والادلال إلا بـــالحكي وبمعاونة الحكاية التي تتوزع على سياقين؛ سياق الحكيم وسياق الوزير. ولقد أســـمى البحـــث سياق الحكيم "سياق الحكايات الأصلية" لان المؤلف يتبنى الموقف العقلي ويلبس قناع الحكـــيم. فيما أسمى البحث سياق الوزير "سياق الحكايات المقابلة" لان المؤلف يظهر من خلاله الموقف الآخر.

أما على أي شيء تدور الحكايات في سياق الحكيم؟ وأي منطق يحكم سير الحكايات تلك؟ فعلى العقل، وهو العقل. وعلى وفق فهم مبسط مفاده: (إذا أنت سلكت سبيل العقل نجوت ونجحت، أما إذا أنت سلكت طريقا غيره هلكت وفشلت) وغير طريق العقل طريق الـــنفس أو الهوى أو الشهوة أو الطمع أو الحواس، كما في حكايـــة المـــضيف وابنـــه الأحـــول[٧٣]، لان الحواس لا تصل إلى لب الحقيقة، وهي تضل من يثق بها. وليس من قوة خارقة تـــستطيع أن تغير قواعد العقل ومواضعاته. يقابل ذلك السؤال سؤال آخر هـــو: علـــى أي شـــيء تـــدور الحكايات في سياق الوزير؟ وأي منطق يحكم سير الحكايات تلك؟ انه القـــدر وإنهـــا العنايـــة الإلهية، وليس العقل الذي يعجز في بعض الأحوال. ويقصر في كـــل الأحـــوال عـــن بلـــوغ الحقيقة. ويرى البحث أن الأول سياق المؤلف، لا لان العلاقة بين المؤلف والحكـــيم علاقـــة قربى من الدرجة الأولى فقط، ولكن لان المؤلف يلزم جانب هذا السياق، وينهي أبواب الكتاب العشرة لصالحة. إذ ينهي الصراع – الذي تدور عليه حكايات الكتاب – بتفوق الحكيم وإقرار الوزير له بصحة الرأي وحسنه، ابتداء من الباب الأول إذ يقر وزير الملك بتفوق الحكيم عليه،

مرورا بالباب الثاني إذ يقر الابن بصحة رأي الأب الملك الذي يقدم العقل، والثالث إذ يقر الملك بصحة رأي الختن الزاهد، والرابع إذ يتفوق الزاهد على العفريت، و الخامس إذ يتفوق النديم أبي نهشل على الوزير الخبيث، والسادس إذ يقر التيس للكلب بصحة الرأي، والسابع إذ يتفوق الأسد على ملك الأفيال، والتاسع والعاشر إذ يتفوق الطير الذي يقدم العقل على الطير الذي يخالفه. وانتهاء بما يرد في نهاية الكتاب حيث ((نهض الوزير وقبل قدميه – أي الحكيم – واعترف له بالفضل... أما أخوه الملك فطار به بسروره به عن سريره واتخذه في مهام أموره مقام أميره. ثم أدت آراء فكرته أن يستعمل أخاه لكشف كربته ويمشي في السعي بينه وبين إخوته لرتق ما أنفتق))[٧٤] ليحصل دوام الملك وازدهار المملكة. وبذا يصل ابن عربشاه إلى تمام وهمه الذي شيده على امتداد المفاكهة ودافع عنه بالحكاية ليمنح المثقف والحكيم مساحة خيالية – ليست له في الواقع – يمارس فيها دوره وتأثيره فيغير ويدفع نحو الأفضل، ونحو القيم التي تجنب الخطأ والزلل وتجنبه الظلم، وتهبه مقابل ذلك البقاء ودوام الذكر.

تظهر أوهام ابن عربشاه ويتجلى وصفها – وهما – في مفارقة موته، إذ يموت مقهورا على يد حاكم مصر الذي يحبسه لوشاية كاذبة يتقدم بها احد أفراد حاشيته. إن ابن عربشاه يتوهم لأنه لا مكان لما يدعيه في الواقع. فليس الحكيم، ولا المثقف وما يدعوان إليه من عقل في السياسة وفي الحكم. هو يتوهم علاقة سوية بين العقل والملك، وبين الحكيم والملك. علاقة لا تظهر في غير الحكاية، وفي غير الخرافة. علاقة تدحض ما سواها من علاقة بين الملك والعواطف والنزعات والعصبيات.

الهوامـــــــــــش

١. تنظر ترجمة ابن عربشاه في:
- شذرات الذهب لعبد الحي بن العماد الحنبلي، ٧/ ٢٨٨، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت).
- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، ١/ ١٢٢، بيروت – مكتبة المثنـــى، دار إحيـــاء الكتب العربية، ١٩٥٧، (د.ت).
- فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، لابن عربشاه، مقدمة المحقق الأستاذ الدكتور محمـــد رجب النجار، الكويت – دار سعاد الصباح، (ط١ / ١٩٩٧).
- السارد والمخاطب في فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، دراسة في الباب الـــسابع، د. عبد الله الغزالي، ص١٨ – ٢١، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الرسالة ١٧٣، ٢٠٠٠ – ٢٠٠١.

٢. ينظر البدر الطالع بمحاسن القرن السابع، ١ /١٠٩، مطبعة السعادة – مصر، ط١ – ١٣٤٨هـــ. عن كتاب السارد والمخاطب، (سابق)

٣. السارد و المخاطب، ٢٠، (سابق). وهو ينقل عن الضوء اللامـــع،٢ / ١٢٦، دون ذكر أية معلومات عن الكتاب.

٤. كتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، احمد بن محمد بن عربشاه الحنفي، طبع فـــي الموصل في مطبعة الآباء الدومنكين سنة ١٨٦٩. وقد اعتمد البحث هذه النسخة في الاقتباس والاحالة.

٥. السردية العربية (بحث في البنية السردية للموروث الحكـــائي العربـــي)، عبـــد الله إبراهيم، ٨٣، المركز الثقافي العربي، بيروت–الدار البيضاء، ط١/١٩٩٢.

٦. مفاكهة الخلفاء(سابق)، ٧

٧. العقل السياسي العربي،محمد عابد الجابري، ٣٦٧، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠.

٨. كليلة ودمنة، ابن المقفع، ٢٩، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، (د.ط).

٩. ملامح يونانية في الأدب العربي، إحسان عباس، ١٢٥، المؤسسة العربية للدراســـات والنشر، ١٩٧٧

١٠. الأصول اليونانية للنظريات الادبية في الإسلام، عبد الـــرحمن بـــدوي، ٥/١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٤.
١١. الآداب السلطانية (دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي)،د. عز الدين العلام، ٨، عالم المعرفة – الكويت، فبراير ٢٠٠٦.
١٢. الكاتب والسلطة، عبد الله الشيخ موسى، ١٢ ويسمي المؤلف هذا النوع من الكتابـــة " مرايا الأمراء "، ترجمة: بشير السباعي، دار مصر العربية للنشر والتوزيع–القاهرة، ١٩٩٩.
١٣. السابق، ١٣.
١٤. كليلة ودمنة (سابق)،٤٥–٤٦.
١٥. الكاتب والسلطة (سابق)، ١٣.
١٦. الأدب والغرابة، عبد الفتاح كليطـــو، ٢١–٢٢، دار الطليعـــة، بيـــروت – لبنـــان، ط١/١٩٨٢.
١٧. الآداب السلطانية (سابق)،٩.
١٨. السابق ، ٣٩.
١٩. السابق، ١٠٧.
٢٠. كليلة ودمنة (سابق)، ٤٣.
٢١. السارد والمخاطب (سابق)، ٤٤–٤٥.
٢٢. ينظر: السردية العربية (سابق)، ١٠.
٢٣. بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، د. حميد لحمداني، ٢٣، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– بيروت، ط٣/٢٠٠٠.
٢٤. السابق، ٣٣.
٢٥. السابق، ٢٨.
٢٦. السابق، ٣٩.
٢٧. السابق، ٤٥.
٢٨. ينظر: الآداب السلطانية (سابق)، ٣٥
٢٩. يسمي بروب الثابت في الحكاية " وظيفة " ويعرفها بالقول أنها ((فعل شخصية، قـــد حدد من وجهة نظر دلالته في سيرورة الحبكة)) انظر: مورفولوجية الخرافة، ٣٥،

ترجمة: إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ط١/١٩٨٦. وللوظيفة الأولوية عند بروب حتى على الشخصية فهذه ليست إلا أداة لإظهار الفعل يسهل تغييرها دون ان يؤثر التغير على الحكاية، فوظيفة مثل الانتقال يستطيع أن يؤديها حصان أو نسر أو مركب أو مارد يطلع من خاتم أو مكنسة. انظر: السابق، ٣٣- ٣٤. ويرى بروب أن الوظائف تمتاز بأنها ((١. ثابتة. ٢. عدد/ ها / محدود. ٣.تتابع/ ها / متشابه دائما)) السابق، ٣٥- ٣٦.

ولم يتوقف النقاد اللاحقون عند رؤية بروب التي تقصر الثابت على الوظيفة فقط بل رأوا أنه يكون وظائف ومؤشرات. أما الوظائف فتكون رئيسة تؤثر في الحبكة وسير الحكاية، وثانوية لا تؤثر في سير الحكاية ((وإنما هي محطات لحشو الأحداث بتفاصيلها الصغرى التي لا تتضح الكبرى بدونها)) مستويات دراسة النص الروائي (مقاربة نظرية)، د. عبد العالي بو طيب، ٣٣، مطبعة الأمنية – دمشق، ط١ /١٩٩٩. فبين قرع الباب وفتحه – الفعلين الرئيسين – مجموعة من الأفعال الثانوية مثل وضع سماعة الهاتف أو إغلاق التلفاز ووضع اللفافة في المر مدة. وإذا كانت الأفعال الأساسية يؤثر حذفها أو تغيير ترتيبها في الحكاية فالأفعال الثانوية يؤثر حذفها في الحبكة. أما المؤشرات –((وهي لا تحيل على فعل متمم ولاحق لكن على مفهوم فضفاض تقريبا، ولكنه ضروري مع ذلك لمعنى الحكاية)) السابق، ٣١. فتقسم على مؤشرات تتصل بالجو، واخبارات تتصل بالشخصيات فأجهزة الهاتف على مكتب جيمس بوند، كما يقول بارت، تدل على القوة الإدارية التي يتمتع بها.

أخيرا يحسن التذكير بان متابعة بنية الوظائف في الحكايات تقوم على ((تقسيم الحكاية لوحداتها السردية الصغرى)) السابق، ٣٠. أي إلى الأفعال التي تتشكل منها الحكاية ويترتب عليها تغيير في مجرى السرد أو في الحبكة. وبعد ذلك تسمية الوحدات تلك باسم مناسب يدل على الفعل كالنقص أو ظهور المحذور أو الوقوع في المحذور أو غير ذلك..

٣٠.فاكهة الخلفاء(سابق)،١٨٦- ٢٣٦.

٣١. السابق، ١٨٨.

٣٢. السابق، ١٠- ٤٩.

٣٣. السابق، ٢٣٧– ٣٠٦.

٣٤. السابق، ٢٤٦.

٣٥. السابق، ٢٥٩.

٣٦. السابق،١٩١.

٣٧. السابق، ٤٢٧.

٣٨. السابق، ١٩٧.

٣٩. اهتم بريمون اهتماما خاصا بمنطق الحكي محاولا ((الابتعاد عن التطور الخطي الذي رسمه بروب)) بنية النص السردي (سابق)، ٤١. مستبدلا الأساس الزمني الذي اعتمده بروب في متابعة تسلسل الوظائف بالأساس المنطقي. انظر: نظرية الرواية (دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة)، د. السيد إبراهيم، ١٩، دار قباء– مصر، ١٩٩٨. إذ يخضع أي محكي ل ((ارغامات منطقية يجب احترامها وإتباعها في كل متوالية حوادث تنتظم في شكل محكي ضمانا لمقروئيتها)). مستويات دراسة النص الروائي (سابق)، ٩٠. وبذا يُقال أن ((تطور الحكي لا يمضي دائما في شكل أحادي الخط)) بنية النص السردي (سابق)، ٤١. أي أن هناك أكثر من احتمال أو مسار يمكن للحكاية أن تسير فيه لتحقق التحسين المطلوب أو لتتخلص من انحطاط محتمل أو العكس.

٤٠.نظرية الرواية (سابق)، ١٨.

٤١.فاكهة الخلفاء(سابق)، ٣٥.

٤٢. السابق، ٣٩.

٤٣. السابق، ٥٥.

٤٤. السابق، ١٣٨.

٤٥. السابق، ١٥٠.

٤٦. السابق، ٢٤٧.

٤٧. السابق، ٢٤٤.

٤٨. السابق، ١٣٤.

٤٩. السابق، ٣٣٦

٥٠. السابق، ١٣٥.

٥١. السابق، ١٣٦.

٥٢. السابق، ١٣٧.

٥٣. السابق، ٦٨.

٥٤. السابق، ٧٦.

٥٥. السابق، ٨٢.

٥٦. السابق، ٢٤٩.

٥٧. السابق، ٢٥٦.

٥٨. السابق، ٣٥٤.

٥٩. السابق، ٣٦١.

٦٠. السابق، ٣٧٠.

٦١. السابق، ٧٨- ٧٩.

٦٢. السابق، ٨٠- ٨١.

٦٣. السابق، ٧٣.

٦٤. السابق، ١١٧.

٦٥. السابق، ١٩٦.

٦٦. السابق، ٢٥٩.

٦٧. السابق، ١١٨.

٦٨. الآداب السلطانية (سابق)، ١٢. الاقتباسات داخل المقتبس عن المقدمة، ١٣٤-١٩٨-٢٣٢، دار الفكر.

٦٩. الأدب الصغير والأدب الكبير ورسالة الصحابة، ابن المقفع، ٣١، كتب الدراسة وشرح النصوص: يوسف أبو حلقة، منشورات مكتبة البيان - بيروت، ط٣/١٩٦٤.

٧٠. الآداب السلطانية (سابق)، ١٢.

٧١. الإسلام وأصول الحكم، علي عبد الرازق، دراسة وتحقيق د. محمد عمارة، ١١٨، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠

٧٢. العقل السياسي العربي (سابق)،٣٦٤، وما يليها.

٧٣.فاكهة الخلفاء (سابق)، ١٤٢.

٧٤. السابق، ٥١٨– ٥١٩.

قائمـــــة المصـــــادر

- الآداب السلطانية (دراسة في بنية وثوابت الخطاب السياسي)،د. عز الدين العلام، عالم المعرفة – الكويت، فبراير ٢٠٠٦.
- الأدب الصغير والأدب الكبير ورسالة الصحابة، ابن المقفع، كتب الدراســة وشــرح النصوص: يوسف أبو حلقة، منشورات مكتبة البيان – بيروت، ط٣/١٩٦٤
- الأدب والغرابة، عبد الفتاح كليطو، دار الطليعة، بيروت – لبنان، ط١/١٩٨٢.
- الإسلام وأصول الحكم، علي عبد الرازق، دراسة وتحقيق د. محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.
- الأصول اليونانية للنظريات اليونانية في الإسلام، عبد الرحمن بــدوي، دار الكتــب المصرية، القاهرة، ١٩٥٤.
- البدر الطالع بمحاسن القرن السابع، مطبعة السعادة – مصر، ط١ – ١٣٤٨هــ.
- بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، د. حميد لحمــداني، المركــز الثقــافي العربي، الدار البيضاء– بيروت، ط٣/٢٠٠٠.
- السارد والخاطب في فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، دراسة في الباب الــسابع، د. عبد الله الغزالي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الرسالة ١٧٣، ٢٠٠٠ – ٢٠٠١.
- السردية العربية (بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربــي)، عبــد الله إبراهيم، المركز الثقافي العربي، بيروت–الدار البيضاء، ط١/١٩٩٢.
- شذرات الذهب لعبد الحي بن العماد الحنبلي، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت).
- العقل السياسي العربي،محمد عابد الجابري، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠.
- فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، احمد بن محمد بن عربشاه الحنفي، الموصل، مطبعة الآباء الدومنكين، ١٨٦٩.

- فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، لابن عربشاه، مقدمة المحقق الأستاذ الدكتور محمد رجب النجار، الكويت – دار سعاد الصباح، ط١ / ١٩٩٧.
- الكاتب والسلطة، عبد الله الشيخ موسى، ترجمة: بشير السباعي، دار مصر العربية للنشر والتوزيع–القاهرة، ١٩٩٩.
- كليلة ودمنة، ابن المقفع، منشورات مكتبة المثنى، بغداد ،(د.ط).
- مستويات دراسة النص الروائي (مقاربة نظرية)، د. عبد العالي بو طيب، مطبعة الأمنية–دمشق، ط١/١٩٩٩.
- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، بيروت – مكتبة المثنى، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٧، (د.ط).
- ملامح يونانية في الأدب العربي، إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٧.
- مورفولوجية الخرافة، ترجمة: إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ط١/١٩٨٦.
- نظرية الرواية (دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة)، د. السيد إبراهيم، دار قباء– مصر، ١٩٩٨.